

الصحافة الغربية ودور السيد السيستاني في التطورات الداخلية العراقية

(٢٠٠٣-٢٠١٨) صحيفة الانديبننت (The Independent) البريطانية

انموذجا

أ.د. محمد حسين علي السويطي

أ.م.د. علي خيرى مطرود

جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الانسانية

المقدمة

تشكل الصحافة اليوم بمختلف مسمياتها وانواعها واشكالها، رافدا مهما من روافد الحصول على المعلومة وتبيان الحقائق أو إخفائها، بل أن بعضها لاسيما العالمية منها تحولت الى اداة فاعلة من الادوات السياسية التي تستخدم للترويج لغرض ما يصل حد اسقاط الانظمة او تغييرها.

وعلى الرغم من تلك الاهمية غير أن التسليم المطلق لما يرد فيها يبقى مسألة نسبية، لاسيما أن بعض معلوماتها لا تتعدى كونها تحليلا أو رأيا أو رؤية لمحلل أو مراسل أو مسؤول، وبالتالي تحمل صفة شخصية تجانب الموضوعية في بعض الاحيان، لذلك فان الاخذ بها يحتاج غالبا الى تدقيق أكثر، لاسيما اذا كانت المعلومة تتحدث عن وضع مضطرب وغير مستقر لا يسمح بالحصول على المعلومة الدقيقة لغياب مصادرها أو ارتباكها، أو لسعي البعض المنظم لتضليلها، كما حدث ولازال يحدث في العراق منذ التغيير عام ٢٠٠٣، اذ تحول الحصول على المعلومة الدقيقة والموضوعية مسألة صعبة للغاية، للظروف المعقدة التي مر بها البلد منذ ذلك التاريخ حتى اليوم، ولذلك شهدنا تحريف كبير في الكثير من حقائق الاحداث والشخصيات

التي أسهمت في رسم معالم العراق الجديد، وفي مقدمتها جميعا رجال الدين والحوزة الشريفة وعلى رأسهم آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني (دام عزه)، الذي لم تخلو وسيلة اعلام عربية او غربية محلية او دولية من التعرض لشخصه ومواقفه سلبا او ايجابا، ولبيان صورة المرجع الاعلى ومدى دقة ومصداقية وموضوعية المعلومة التي تناقلتها الصحف بخصوص شخصه او مواقفه، سنعمد الى دراسة واحدة من أهم تلك الصحف واكثرها انتشارا في العالم وهي صحيفة الانديبننت البريطانية (The Independent)، التي تأسست منذ عام ١٩٨٦، وهي من الصحف ذي الصبغة العالمية لما تمثله غالبا من ثقل ومصدر مهمة للمعلومة، بل ربما تشكل في مرحلة ما احدى ادوات توجيه الراي العام البريطاني تجاه القضايا المختلفة، ليتسنى لنا وضع خطوط عامة يمكن من خلالها استخدام المعلومة التي ترد في تلك الصحف أو الاعراض عنها.

أولا : صورة السيد السيستاني وصفاته ومكانته العامة.

ركزت الصحيفة في أعدادها التي رافقت عملية اجتياح العراق^(١)، وتصدي مرجعية السيد السيستاني على دراسة تلك الشخصية لاسيما ما تعلق منها بمولده وأسرته وانحداره الاجتماعي فقد أورد تقرير للصحيفة نشر بتاريخ السادس من اذار عام ٢٠٠٤، الكثير من المعلومات عن مولده ودراسته ومما جاء فيه "ولد علي في إيران ، قبل ٧٥ عاما ، وبدأ بدراسة القرآن الكريم... في سن الخامسة ودرس في مدينة قم ثم في العقود الأربعة الماضية في النجف التي كانت مركزا للتعليم الشيعي منذ ١٠٠٠ عام^(٢)، ولم يكن ذلك التقرير هو الوحيد الذي أوردته عن سيرة الامام السيستاني بل خصصت العديد من تقاريرها لذلك الغرض فقد ذكرت على سبيل المثال في عددها الصادر في الصادي في السابع والعشرين من كانون الثاني ٢٠٠٥، مراحل دراسة

الامام وأهم اساتذته وشيوخه فكتبت: "وانتقل إلى النجف في عام ١٩٥٢، ودرس مع أهم رجل دين شيعي في عصره، آية الله العظمى أبو القاسم الخوئي،... عندما توفي خوئي في عام ١٩٩٢، تم اختيار السيستاني لرئاسة الحوزة، شبكة المدارس الإسلامية في النجف، مما جعله أكثر رجال الدين الشيعة تأثيراً^(٣)، والجدير بالإشارة إلى أن الصحيفة لم تكتف بذكر معلومات عامة عن المرجع من باب المتابعة فقط بل نشرت العديد من المقالات التي احتوت معلومات تفصيلية عن دراسته وتقييم مدى العلمية التي تمتع بها فذكرت في إحدى تقاريرها الذي نشر في السادس من اذار عام ٢٠٠٤ تقول: "وقد درس الفلسفة والبلاغة والقانون في ظل كبار العلماء في عصره، واكتسب سمعة للتغلغل إلى "المعنى الحقيقي" وراء كلمات النصوص الإسلامية الرئيسية. يتحدث أتباعه عن قداسته، ونسكته الشخصية، ودقته الفكرية التي تتميز باهتمام شديد بالعلوم الحديثة والاقتصاد والسياسة الدولية، والأكثر من ذلك أنه مختص في الاجتهاد، واستخدام العقل لتطبيق القيم القرآنية في المواقف المعاصرة - وهو الانضباط الذي يسمح فقط لرجال الدين الشيعة البارزين بالتدرب عليه وهذا يسمح بإعادة تفسير الإسلام في ظل الظروف المتغيرة"^(٤).

والغريب أن الصحيفة ركزت على مدة حداثية السيد السيستاني بمعنى قدرته على التعامل مع الامور المستحدثة التي تتطلب رأياً أو فتوى وتابعت بدقة احكامه الشرعية واجاباته عن مسائل غاية في الدقة ونقلت في أحد اعدادها نماذج لتلك الفتاوى والاجابات عليهم فذكرت في نفس عددها الصادر في السادس من اذار ٢٠٠٤، ما نصه "وبالتالي، فإن موقع السيستاني يهتم بمثل هذه الهواجس المعاصرة مثل ما إذا كان بإمكان المسلمين استخدام العطور التي تحتوي على الكحول... فيجيب ب(نعم)، واستخدام الاستثمارات التي تحمل فوائد (في بعض الظروف)،

والمقامرة (على الخيول ولكن ليس اليانصيب) ، والاستمناء ..(لا) ، وأداء الجنس الشرجي (نعم ، على الرغم من أنه "غير مرغوب فيه بشدة") أو الجنس عن طريق الفم (نعم ، طالما لا يدخل السائل في الفم)" وخلصت الصحيفة في تقريرها إلى فكرة مفادها أ، فتاوى السيد السيستاني تلك وتعامله مع تلك الامر المستحدثة بواقعية وعملية تمكن من الارتباط مع الغرب بعكس الحركات الاصولية المتطرفة فكتبت تقول "كل هذا بعيد بعض الشيء عن القيم الغربية الحالية ، لكنه على الأقل يوفر إمكانية الارتباط مع الغرب بطريقة لا يمكن تصورها مع أولئك الأصوليين السنة مثل حركة طالبان أو القاعدة أو الوهابيين في المملكة العربية السعودية"(٥).

وفي سياق تقييمها وتحليلها لشخصية السيد السيستاني ومكانته وسلوكه العام والشخصي، لفت انتباه الصحيفة لجوء آية الله السيد السيستاني الى الامتناع عن مقابلة الصحافة واللقاءات التلفزيونية وقد اشارت في احد تقاريرها لذلك الموضوع بالقول "نادرا ما يشاهد علنا. لا يقوم بمقابلات تلفزيونية. ولا يتصل إلا من خلال مراسيم مكتوبة أو من خلال أعضاء أقل رتبة في شبكة العلماء الذين يدرسون القرآن والشريعة الإسلامية في مدينة النجف الاقليمية، ومع ذلك"(٦).

ثانيا/ موقف الصحيفة ورؤيتها لمكانة السيد السيستاني ورؤاه السياسية وفي محل تقييمها لشخصية الامام السيستاني ورؤاه الفكرية التي ستشكل أساس العلمية السياسية في العراق بعد عام ٢٠٠٣، نشرت الصحيفة مقالا بعنوان (Cricket but no chess in Sistani's vision for democratic Iraq) (لعبة الكريكت ولكن ليس الشطرنج في رؤية السيستاني للعراق الديمقراطي) للكاتب (Patrick Cockburn)، نشر في التاسع من شباط ٢٠٠٥، كتب الباحث

يقول "يسمح باللعب الكركيت ولكن الشطرنج "ممنوع تماما". .. لا تصافح النساء الرجال.... يسمح بالموسيقى أن لم تكن للهو. لا يستطيع الرجال الصلاة عند ارتداء الأقراط" (٧)، تلك آراء أقوى رجل في العراق بعد الغزو الأمريكي، اعتقد العديد من المسؤولين الأمريكيين والجنرالات أنهم احتلوا ذلك البلد ولكن تبين أنهم على خطأ، وكما أكد النصر الانتخابي للشيعة ، "فإن الشخصية الأكثر نفوذا في العراق ، وهي ترتدي ثوبا رماديا ممزقا وعمامة سوداء، هي آية الله العظمى علي السيستاني (٨)، وأرجعت الصحيفة تلك القوة وذلك النفوذ الى مجموعة من العوامل وأن نفوذ " آية الله السيستاني الرئيسي يأتي من وضعه كمرجع وهي مكانة رائدة في المذهب الشيعي، وهو لقب يمنح لرجل دين يعتبره ١٥ مليون مسلم شيعي في العراق بمثابة دليل في كل جانب من جوانب حياتهم" (٩).

أما في مجال رؤاه السياسية فكانت النقطة الرئيسة التي ركزت الصحيفة عليها في أغلب تقاريرها هي نوعية الحكومة والنظام الذي يتبناه السيد السيستاني نموذجا للحكم وبدأت تقاريرها بمحاولة إجراء مقارنة بيه وبين السيد الخميني رحمه الله انطلاقا من حقيقة أن الرجلين مرجعين دينيين ينتميان لنفس المذهب ووضعا في وضع تطبيق رؤاهما السياسية، وكانت النقطة الاولى التي ركزت عليها الصحيفة اختلافهما في شكل الحكم لاسيما حول مسألة "ولاية الفقيه" فكتبت تقول "هناك شيء آخر مثير للاهتمام في تفكيره اتقصد السيد السيستاني". فأحد زملاء السيستاني في أيامه الأولى في النجف كان آية الله روح الله الخميني الذي اعتقد أن...معظم الناس لم يكونوا يعيشون وفق مبادئ الإسلام، ولذلك طور مذهب الديكتاتورية الدينية ولاية الفقيه، الذي كان أساس الثورة الإيرانية. فيما على النقيض من ذلك ، فإن السيستاني أكد مرارا وتكرارا أنه يجب فصل الدين عن

الحكومة^(١٠)، وتستمر الصحيفة في تقييمها لتلك المقارنة فتقول " حيث جادل الخميني في سنواته الـ ١٤ في المنفى في النجف بأن "المجتمع الجيد هو الذي يستطيع خلق المؤمنين الجيدين"، أصر السيستاني على عكس ذلك: " وأمن بأن الرجال الجيدين فقط هم من يمكنهم خلق مجتمع جيد". اليوم، حوالي ثلث العراقيين الـ الخمسة عشر مليون شيعي يتبع الأغلبية منهم السيستاني^(١١)،

وفي السياق نفسه ناقش الصحيفة موقف السيد السيستاني من تدخل رجال الدين في العمل السياسي، إذ رأت الصحيفة أن مواقف السيد السيستاني ركزت الضوء على ما اسمته "معضلة السيستاني" الحالية وهي مسألة تدخل رجال الدين في العمل السياسي من عدمه، إذ يصير موقفه اللاهوتي على أن رجال الدين لا يجب أن يتدخلوا في الحكومة، ونقلت عنه قوله "إن رجال الدين هم ضمير المجتمع"، وأنه "يجب ترك الجوانب الإدارية لحياة المجتمع لرجال السياسة". ومع ذلك فإن السيد السيستاني يعتقد بحسب الصحيفة، "أن الشيعة العراقيين في الوقت الحالي يحتاجون إلى بعض القيادة، التي لا يمكن أن تأتي إلا من رجال الدين، لتطوير الإطار السياسي الذي يمكن أن يكون للدين والسياسة فيهما مساحتهما الخاصة"^(١٢)، وإضافة تقول " وعلى النقيض من رجال الدين الإيرانيين، فقد عارض دورا سياسيا مباشرا لرجال الدين الإسلاميين، مؤيدا لدولة إسلامية ولكن ليس دولة دينية"^(١٣).

وترى الصحيفة أن قناعة السيستاني بأن الدين الحقيقي يعني الابتعاد عن السياسة، وأنه يتبع ما اسمته "النسخة الهادئة من الإسلام الشيعي" وأنه واحد أهم خمسة آيات الله العظماء في العالم، وقيل أن السيستاني كان من المدرسة "الهادئة" للتقاليد الإسلامية^(١٤)، وهي أمور تتناقض مع تلك التي تبناها آية الله الخميني قدس سره الذي أسس حكم رجال الدين في إيران بعد الإطاحة بالشاه عام ١٩٧٩. لكن السلطة

الأخلاقية للسيستاني على الأغلبية الشيعية في العراق بعد غزو عام ٢٠٠٣ أجبرت قوات التحالف بل ومن أسمتهم "المحتلين لن يتمكنوا من أنجاز شيء خارج موافقته فكتبت "أن المحتلين أدركوا أنهم لا يستطيعون الحكم بعكس رغبته" (١٥).

ثالثا: الموقف من الدستور وتشكيل نموذج الحكم الجديد في العراق.

كان موقف الحوزة الدينية عموما والسيد السيستاني خصوصا من التطورات الكبيرة التي شهدتها العراق عام ٢٠٠٣، وما بعدها وأحدة من أكثر المواضيع التي كتبت عنها وفيها صحيفة الاندبيندت البريطانية، وخصصت في بعض الاحيان مساحات كبيرة من صفحاتها لتحليل موقف الحوزة والسيد السيستاني الذي شكل بحسب الصحيفة أكبر معضلة أمام مشروع التحالف، ففي مقال لها نشرته في السابع والعشرين من تشرين الاول ٢٠٠٧، وبعد أن أكدت فيه أن خطط إدارة جورج بوش (George W. Bush) تواجه مزيدا من التعقيدات مع ظهور علامات على معارضة شديدة من رجل الدين الشيعي الأكثر نفوذا في البلاد كتبت قائلة "أنهم يعرفون أن آية الله السيستاني يملك نفوذا كبيرا على الفقراء الشيعة في المناطق الحضرية، الذين يشكلون ٦٠٪ من السكان البالغ عددهم ٢٥ مليون نسمة، ولهم نفوذ على مجلس الحكم العراقي الذي عينته الولايات المتحدة ٢٥ مقعدا، على الرغم من أن الأميركيين لا يريدون سياستهم التي يحددها زعيم ديني شيعي، إلا أنهم يعلمون أن العديد من العراقيين الشيعة لن يقبلوا على الأرجح أي مقترحات رفضها" (١٦).

الجدير بالإشارة أن الصحيفة لم تكتف بعرض آراء المرجع السيستاني فقط بل عززت مقالاتها بأدلة على مواقفه السياسية ومن تلك الأدلة ما ذكرته في مقال لها نشرته في حزيران أوردت فيه ما وصفته بأنه دليل على موقف السيد السيستاني

المعارض للدستور المقترح وذكرت بانه أصدر فتوى أدت لإحباط خطة بول بريمر (Lewis Paul Bremer III) لتعيين مؤلفي الدستور العراقي الجديد^(١٧)، ونص فتوى آية الله على "أنه لن يدعم سوى الدستور الذي كتبه العراقيون المختارون من خلال انتخابات عامة، ثم ذكرت الصحيفة كيف ان الولايات المتحدة الامريكية اضطرت مرغمة على الاستجابة لتلك الفتوى فكتبت تقول "عدلت الولايات المتحدة استراتيجيتها، ووضعت خططا لعقد جمعية انتقالية تضم ٢٥٠ عضواً، والتي اختارتها المؤتمرات الحزبية الإقليمية، التي ستتولى السيادة ثم تبدأ في صياغة دستور"^(١٨).

لقد فصلت الصحيفة في موقف المراجع من قضية الدستور وأن المسألة لديه لم تكن فقط رغبة في أن يكون واضعي الدستور عراقيون بل أشرت الصحيفة أن المرجع السيستاني حرص على أن تكون تفاصيل الدستور الجديدة مقبولة من الأغلبية الدينية في العراق اي الاسلام وأن لا يتضمن الدستور تشريع أو قانون يتعارض مع ثوابت الاسلام ونشرت الصحيفة حول ذلك الشأن مقالا نقلت فيه رأي المرجع بذلك الخصوص قائلة "قال السيستاني إنه يجب أن لا يتعارض أي قانون في العراق مع المبادئ الإسلامية، وهو يريد أن يتم الاعتراف بالاسلام في القانون باعتباره ديانة أغلبية العراقيين. لكنه يريد تأمين نموذج يعني أن نظاماً علمانياً مستقبلياً لا يمكنه تمرير قوانين تناقض الإسلام بدلا من تأسيس دولة على غرار النموذج الإيراني"^(١٩).

ويظهر أن تلك الصحيفة كانت حريصة على ان تعزز معلوماتها بشهادات من أناس قريبين من المرجع السيستاني فقد حدث ان نقلت موقفه من الدستور عن السيد عبد العزيز الحكيم رحمه الله، الذي أبلغ الصحيفة بأنه ناقش مقترحات الولايات المتحدة

مع آية الله ، الذي أخبره "بأنها معيبة لأنها لم تتضمن حظرا على تشريع أي شيء يتناقض مع الإسلام. .. وقال الحكيم: "لقد أعرب عن قلقه إزاء الفجوات الحقيقية التي يجب التعامل معها، وإلا ستفتقر الخطة إلى القدرة على تلبية آمال الشعب العراقي"(٢٠).

وقد حلت الصحيفة موقف السيد السيستاني ذلك على أساس عدم رغبته في قيام أي من نموذجي الحكم سواء العلماني المتطرف أو الدولة الدينية البحتة ونقلت الصحيفة إلى أن أفضل طريقة بالنسبة للسيد السيستاني لفعل ذلك "هي من خلال الديمقراطية النقية" صوت واحد شخص واحد". لهذا السبب يعارض الهيكل المعقد الذي صممه الأميركيون لضمان أن الأغلبية الشيعية لا تستطيع الركوب على النخبة السنية المتعلمة والأكراد المتلهفين للحكم الذاتي"، واعتبرت الصحيفة أن موقف السيد السيستاني ذلك يتسم "بالغربة" وكتبت في مقال نشر على صفحاتها قائلة "إنها تثير مفارقة غريب لرجل دين غير منتخب يضغط على أعظم ديمقراطية في العالم لتنفيذ تقرير المصير الذي غزا ظاهريا العراق لتحقيقه" وأشارت الصحيفة إلى تلك الحقيقة باقتباس نقلته عن السيد السيستاني في رسالة وجهها إلى المسؤول الأمريكي الأول في العراق بول بريمر قال فيها: "السيد بريمر ، أنت أمريكي. أنا إيراني. أقترح أن نترك الأمر للعراقيين لوضع دستورهم"(٢١).

في الوقت ذاته نقلت الصحيفة مخاوف البعض من أن يكون سلوك السيد السيستاني نابع من طمع في السلطة والرغبة في الاستحواذ عليها وكتبت بهذا الشأن "هناك من ينتابهم القلق من أنه بمجرد أن يتذوق السيستاني طعم السلطة، فإن مطالبه سوف تنمو بدلا من أن تتراجع"، غير أن الصحيفة عادت في مقالها نفسه وفندت تلك المزاعم مستندة إلى آراء عدد ممن زار السيد والتقوا به وأستمع منه لاسيما من السنة والاكرد فكتبت قائلة "إن مجموعة من الناس - بمن فيهم السنة والاكرد

والعلمانيون وناشطون في مجال حقوق المرأة - ممن كان لديهم حديث مع آية الله في منزله المتواضع في شارع سوق مزدهم في النجف ، هم أكثر تفاؤلاً (٢٢)، ونقلت الصحيفة عن احدهم أن السيد السيستاني في لقاءاته تلك لم يستخدم الخطابات الدينية المعتادة التي اعتاد الناس سماعها من رجال الدين فكتبت نقلاً عنهم "وقال أحدهم كان واضحاً ومباشراً على الرغم من أنه كان يتحدث بهدوء شديد وكاد أن يغمز بلهجة فارسية ثقيلة." وقال آخر "الرجل كان علمانياً! لم اسمع قط رجل دين يقول الأشياء التي قالها" (٢٣)، وقال ثالث "تحدث عن الركائز القديمة لعقيدة السنة وأشاد بها بالتفصيل وقال كيف كان الفرق بين الشيعة والسنة أقل أهمية بكثير من الخطر الذي يواجه الأمة العراقية في الوقت الحالي" قالت سيدة سياسية: "أخبروني أنه لن يلتقي بامرأة ، لكنني التقيت به وناقشت مع قضايا المرأة" (٢٤).

كما نقلت الصحيفة عن أحد السياسيين قوله بأنه التقى السيد السيستاني الذي قدم له نصيحة حول كيفية وضع شخص ما في منصب. فذكر أنه قال له : "حينما ترشح شخص، تأكد من أنه لا يرتدي عمامة" (٢٥) ..

وفي مقال للصحيفة بعنوان (Could Iraq's democratic future depend on an old man lying in a London hospital bed?) (هل يمكن أن يعتمد المستقبل الديمقراطي للعراق على رجل عجوز يرقد في سرير مستشفى في لندن؟) للكاتب (Johann Hari) نشر في الثامن عشر من اب ٢٠٠٥ ، يقول ريويل مارك جيريش، الخبير في الفكر السياسي الشيعي ، "إن حجج السيستاني الفلسفية من أجل الديمقراطية "غير مسبقة في نطاقها. إنه يتحدث بلغة حقوق غير قابلة للتصرف: رجل واحد ، صوت واحد ، ودستور كتبه ممثلون منتخبون ووافق عليه الاستفتاء الشعبي: تمكن السيستاني من إطلاق مشروع لم يحلم به التقدميون

المسلمون إلا من خلال تأسيس نظام سياسي ديمقراطي يعاقب عليه رجال الدين ويحميهم. إليكم الجذور البطيئة والمؤقتة للإصلاح الإسلامي الذي هو في أمس الحاجة إليه في الشرق الأوسط^(٢٦).

وفي نفس المقال الذي نشرته الصحيفة حاول الكاتب أن يجعل من السيد السيستاني دليل على أن هزيمة التطرف والاصولية لا تتم عن طريق الغزو والعمل العسكري بل عبر العمل الفكري فكتب قائلاً "لن تهزم الأصولية الإسلامية في نهاية المطاف من قبل الغرب الصليبي... لا ؛ بل المسلمون المعتدلون هم المفتاح - والسيستاني على الأرجح هو أكثر المسلمين اعتدالا على قيد الحياة اليوم، بالطبع ، لديه وجهات نظر حول القضايا الاجتماعية التي هي (في أحسن الأحوال) مكروه لدى الغرب، إنه ينتقد الطلاق، وبالتأكيد لن ينضم إلى أي مسألة تتعلق بالمثلين، لكنه يؤمن بفتح مجال ديمقراطي يمكن من خلاله مناقشة تلك الأفكار ، وهو يؤمن بالالتزام بقرار الأغلبية. هذا تقدم هائل"^(٢٧)، واستغربت كاتبة المقال من أن تأتي الديمقراطية من رجل دين أو ما اسماه "ديمقراطية آية الله ؟ في البداية ، تبدو الفكرة غير معقولة ، مثل كوكلوكس كلانس أسود ، أو نازي يهودي.... لا يزال آية الله الخميني هو النموذج العقلي للغرب ، وهو ثيوقراطي مستبد ذبح أكثر من مليون إيراني وأصدر فتوى ضد سلمان رشدي"^(٢٨)، واستمرت كاتبة المقال في محاولته لتبرير تلك الغرابة على حد وصفه بالقول "أن الغرائز الديمقراطية تظهر في أغرب الأماكن. وأصر العديد من الشيعة على أن الخميني كان "استثناء" ، وهو اختلاف جذري عن تقاليد الشيعة القديمة "رجال الدين" الذين لم يسعوا للحصول على سلطة سياسية شخصية. كنت دائما متشككا إلى حد كبير، وأنا معادية بشكل غريزي للسلطات الدينية - لكن سلوك السيستاني منذ سقوط صدام أثبت أنه صحيح. من منزله في النجف ، كان السيستاني مناضلا ثابتا على الدوام

من أجل عراق حر وديمقراطي ، بينما يتجنب بدقة أي إغراء للبحث عن السلطة لنفسه^(٢٩).

واسترسلت كاتبة المقال في تحليل آراء السيد السيستاني وكيف ان قبول فكرة ان رجل دين يمكن ان يكون ملهما للديمقراطية هو ضرب من الخيال بالنسبة للغرب فكتبت "صحيح أن السيستاني كان له سمعة منذ أن تحدث عن حقوق الشيعة أثناء استبداد صدام، وأدخل بشجاعة تحذيرات مشفرة للديكتاتور في خطبه. لكن عندما دمرت دكتاتورية صدام أخيرا وبدأ السيستاني يدعو إلى الديمقراطية، افترضت أن هذه كانت مجرد خدعة ساخرة. من المؤكد أن آية الله لا يمكن أن يريد رجلا واحدا ، صوت واحد ، لمدة خمس دقائق؟ ألم يكن السيستاني يأمل في انتخاب حكومة ثيوقراطية تجد بسرعة أعدارا للتصفية صحافة حرة وإجراء انتخابات شبه مزورة بعد ذلك؟"^(٣٠).

ولعل أكثر ما يثير الانتباه أن صاحبه أطلع على بعض كتب السيد السيستاني ومن بينها "مدونة الممارسات للمسلمين في الغرب". إنه - من الناحية الإسلامية - نص تقدمي مذهل، يشدد السيستاني على أهمية احترام الديمقراطية ، معتبرا أنه يجب على المسلمين المشاركة في السياسة الانتخابية - كناخبين ومرشحين - على قدم المساواة مع غير المسلمين" وقد وجدت كاتبة المقال في تلك الدعوة خروجاً على المؤلف الذي اعتادت الغرب على توقعه من "الجماعات الإسلامية الفاشية مثل "المهاجرون" ، التي تقول بانه يجب على المسلمين ألا يصوتوا لأي أحد في الانتخابات ... إنه عبادة الأوثان. لا يوجد مشرع سوى الله ، والقانون الوحيد يجب أن يكون الشريعة"^(٣١).

وقد أستنتج الكاتب أن تشكيك البعض بنوايا السيد السيستاني ليست دقيقة وصاغ الرد على تشكيكهم بعدة تساؤلات فكتب بذلك الخصوص قائلا "لا يزال بعض الناس يشك في أن السيستاني هو ثيوقراطي سوف تذوب حججه الديمقراطية

بسرعة عندما يقترب من السلطة! إذ كان الامر كذلك فلماذا رفض مرارا وبشكل صارخ النموذج السياسي الإيراني ، حيث "يشرف الملالي" على البرلمان الديمقراطي والصحافة؟ كان بإمكانه وضع الملالي بمفردهم في قلب الجدل الدائر حول الدستور العراقي. بدلا من ذلك أصر على أنهم يجب أن يبقوا خارج هياكل الدولة ، في الحياة الديمقراطي" (٣٢).

رابعا : تحليل موقفه من الاجتياح الامريكي للعراق عام ٢٠٠٣.

في مقال للصحيفة كتبه بول فلي (Paul Vallely) تحت عنوان (هل كان رجل الدين المحبوس تحت الإقامة الجبرية من قبل صدام لمدة عقد ، سلاحا سريا بالنسبة للحلفاء؟) ونشرته الصحيفة في الرابع من نيسان ٢٠٠٣ ، ناقش فيه المؤلف موقف السيد السيستاني من عملية اجتياح العراق والدعوات التي رافقتها من بعض الجهات "للمقاومة" العسكرية المسلحة ونقل الكاتب ما قال انه فتوى اصدرها السيد وذكر قائلا "أصدر الزعيم الديني الأعلى في العراق فتوى أمس حثت فيها أغلبية الشيعة في البلاد على عدم عرقلة الجيوش الأمريكية والبريطانية". واعتبر المؤلف ان تلك الفتوى تطور مهم لأنه منع اي صدام عسكري بين الاغلبية الشيعية وبين قوات التحالف واذاف قائلا "يمكن أن يؤشر ذلك أنه تطور مهم للقوات الغازية مثل الانتصارات العسكرية التي حققتها في الأيام القليلة الماضية" (٣٣)، ورأت الصحيفة أن سبب موقف المرجع ذلك انما يعود لرغبته في عدم تعريض الناس الى القتل أو البلاد الى الخراب بسبب التباين الكبير في القوة والامكانيات بين الطرفين فكتب تقول "ودعت فتوى آية الله العظمى السيد علي السيستاني- وهو المرجع الشيعي الأول في العراق- المسلمين إلى التزام الهدوء والبقاء في المنزل وعدم تعرض أنفسهم للخطر وعدم القتال" (٣٤)، ونقلت الصحيفة ان موقف المرجع ذلك وبحسب المسؤولين من الامور التي

أسهمت في سرعة اسقاط النظام فذكرت على سبيل المثال تصريح لبريغادير جنرال فنسنت بروكس، من القيادة المركزية للحلفاء في قطر قال فيه "نعتقد أن هذه نقطة تحول مهمة ومؤشر آخر يقترب من أن النظام العراقي يقترب من نهايته"^(٣٥)، ونقلت العديد من اراء ومواقف السياسيين ممن وجدوا إن الفتوى "قد تكون حاسمة" في نتيجة الحرب.

كما ناقشت الصحيفة فتوى منسوبة للمرجع، في سبتمبر على عكس الفتوى الاولى إذ يدعوا فيها بوجوب قتال القوات المحتلة وكتبت الصحيفة قائلة "أصدر آية الله السيستاني حكما دعا فيه الشيعة العراقيين لمحاربة الأميركيين، وجاء في نصها: "من واجب المسلمين ، في ظل هذا الوضع الحرج ، أن يكونوا موحدين وأن يبذلوا قصارى جهدهم للدفاع عن العراق وحمايته من مؤامرات المعتدين"^(٣٦). ومن أجل ان تثبت الصحيفة ان تلك الفتوى مزورة ومنسوبة للمرجع فأنها نقلت عن عدد من المعارضين السياسيين تأكيدهم ذلك فكتبت "وقالت العديد من جماعات المعارضة في ذلك الوقت إن الفتوى صدرت عن مسؤولين في عهد صدام"^(٣٧)، ويظهر أن النظام السابق اراد تزوير الفتوى على أمل دفع العراقيين عموما والغالبية الشيعية خصوصا لمقاتلة قوات التحالف، وعادت الصحيفة لتؤكد أن موقف السيد السيستاني من الغزو هو رفضه ولكن من دون الدعوة لمواجهة عسكرية مفتوحة مع القوات الاجنبية فنشرت في أحد مقالاتها ما وصفته "نصيحة السيستاني للمؤمنين" قائلة أنه نصح "المؤمنين بعدم عرقلة قوى التحرير، والمساعدة في جلب هذه الحرب ضد الطاغية إلى نهاية ناجحة للشعب العراقي"، ويلاحظ في النص أنها نسبت للسيد ما لم يدعوا لها فعلى الرغم من أن السيد السيستاني كان مع تغيير النظام في العراق الا انه لم يدعوا ابدا لان يكون ذلك التغيير عبر قوات اجنبية تحتاح العراق.

وقد وجهت الصحيفة في العديد من مقالاتها انتقادا شديدا لقوات التحالف عموما والولايات المتحدة خصوصا لعدم نجاحها في تشخيص المكانة والتقييم الحقيقي لموقع السيد بين المراجع وعموم الشعب فأشارت في إحدى مقالاتها والذي صدر في السادس من اذار عام ٢٠٠٤، الى المكانة والقوة والنفوذ الذي تمتع به السيد السيستاني وكيف أن الأمريكيين فشلوا في ملاحظة ذلك فكتبت تقول: "أن آية الله العظمى علي الحسيني السيستاني البالغ من العمر ٧٥ عاما هو بلا شك أقوى رجل في العراق، من الواضح أن الأمر استغرق قرابة العام كي يستيقظ جورج بوش على هذه الحقيقة" (٣٨)، ولم تكتف الصحيفة بذكر تلك الحقيقة بل حاولت ان تحدد اسباب تلك المكانة والنفوذ وأن الأمريكيين فشلوا في تحديد تلك الاسباب فكتبت قائلة "لو كانوا أكثر اجتهادا لتوصلوا إلى تأثير السيستاني قبل ذلك الوقت بكثير، كان عليهم أن يلاحظوا أن السيستاني يتلقى ملايين الدولارات من التبرعات ويسيطر على شبكة من المدارس والمساجد والعيادات وغيرها من مؤسسات الرعاية الاجتماعية، كان عليهم أن يلاحظوا أن السيستاني" ولم تكتف الصحيفة بذلك بل وردت ما اعدته امثلة عملية على مكانة السيد السيستاني وتأثيره في الشارع العراقي وكتبت: "في الأيام الأولى للاحتلال، تحدث ضد النهب، فتلاشى بسرعة في المناطق الشيعية، وعندما أصدر فتوى ضد السوق السوداء في البنزين، تقلصت طوابير محطات الوقود على الفور بنسبة ٧٥ في المائة" (٣٩).

ووجدت الصحيفة أن قدرة السيد السيستاني على التحكم بالشارع كبيرة حتى على أولئك الذين لا يخضعون له من جهة التقليد، واوردت أكثر من مثال على ذلك من بينها وأهما قضية موقف المرجع السيستاني من مشكلة الصدام بين قوات الائتلاف وبين مجموعات دينية أخرى كالتيار الصدري، فكتبت الصحيفة حول

هذا الموضوع قائلة " إن الخطر الذي سيواجه الولايات المتحدة هو انضمام الشيعة إلى تمرد ضد الاحتلال كالذي ظهر في أبريل ٢٠٠٤ ، عندما استولى مقتدى الصدر، ابن القائد الديني محمد صادق الصدر، الذي قتل على يد صدام عام ١٩٩٩ ، على عدة مدن وجزء من شرق بغداد مزج حركته الدين الشيعي والقومية العراقية. قاد قيادة ميليشيا قوية إذا كانت غير منظمة ، جيش المهدي" (٤٠).

فحين كتبت عن الصدام المسلح الذي حدث بين القوات الامريكية ومقاتلي جيش المهدي أرجعت وقت وتاريخ اندلاعه لحالة "المرض" التي عانى منها السيد السيستاني وانه ربما لو كان في ذلك الوقت في النجف وبكامل صحته لما حدث ذلك الصدام من الاصل ونشرت في إحدى مقالاتها تقول " ليس من قبيل المصادفة أن وقف إطلاق النار بين الائتلاف وجيش المهدي قد انهار بينما كان السيستاني "عاجزا" لقد أثبت أنه قوة تقييد حاسمة لكل من الصدر والائتلاف، حاول توجيه غضب جيش المهدي (غالباً ما يكون مشروعاً) عن البطالة وانتهاكات حقوق الإنسان بعيداً عن الاحتجاجات العنيفة ونحو التنظيم الديمقراطي" (٤١).

وبلغ حرص ودقة الصحيفة أنها لم تكتف بنقل خبر الصدام فقط بل تابعت طريقة حل تلك المشكلة وفي مقال نشرته الصحيفة في السادس والعشرين من اب ٢٠٠٤

للكاتب (Donald Macintyre) بعنوان (Sistani mobilises his 'believers' to march on Najaf in peace bid) (السيستاني يحشد "المؤمنين" للمسير باتجاه النجف في محاولة للسلام)، جاء فيه: "قام رجل الدين الشيعي الأكثر تبجيلاً في العراق بالتدخل المفاجئ في أزمة النجف أمس بالعودة إلى البلاد ودعا أنصاره إلى السير إلى المدينة المقدسة المحاصرة ، وكان من المتوقع أن يصل آية الله العظمى علي السيستاني إلى النجف اليوم بعد وصوله إلى البصرة قادماً من الكويت ، حيث أشار

مساعدوه إلى أنه كان لديه مقترحات لإنهاء القتال الذي استمر ثلاثة أسابيع في المدينة^(٤٢)، وهناك من البصرة قرأ السيد حيدر الصافي^(٤٣)، مساعد السيستاني، بياناً قال أنه صدر عن آية الله جاء فيه: "نطلب من جميع المؤمنين التطوع للذهاب معنا إلى النجف. لقد جئت من أجل النجف وسأبقى في النجف حتى تنتهي الأزمة"^(٤٤).

خامساً: الموقف من تشكيل الحكومة وكتابة الدستور.

حرصت الصحيفة في أغلب افتتاحياتها تقريباً في تلك المدة من تاريخ صدورهما على تتبع التطورات الداخلية في العراق ومحاولات تشكيل الحكومة^(٤٥)، وبرزت بصورة واضحة دور المرجعية الدينية في النجف لاسيما آية الله العظمى الامام السيستاني من تلك الاحداث وتابعته خطوة بخطوة، وكانت أولى التحولات السياسية في العراق التي تابعتها الصحيفة بعد الاجتياح العسكري هي قضية انتخاب المسؤولين عن كتابة الدستور وهي واحدة من اكثر المسائل التي وقع الخلاف بينها بين قوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة الامريكية من جهة والحوزة العلمية من جهة ثانية لاسيما وان المرجع الاعلى أبدى في تلك المسألة رأياً خالف فيه كل رغبات الامريكيين وأمالهم بكتابة دستور على "الطريقة الغريبة" وتابعت الصحيفة ذلك الموقف بل ونشرت فحوى الفتوى التي اشار فيه سماحة لعدم جواز قبول دستور للعراق لم يكتبه عراقيون منتخبون وذكرت في أحد مقالاتها تقول "في حزيران ٢٠٠٣ ، أصدر رجل الدين فتوى ، أو حكماً دينياً ، ينص على أنه يجب انتخاب أولئك الذين يضعون الدستور العراقي الجديد بدلا من اختيارهم من قبل الولايات المتحدة وأعضاء مجلس الحكم العراقي"^(٤٦)، وفي مقال بعنوان (Grand

Ayatollah Ali Sistani: The real face of power in Iraq) (آية الله

العظمى علي السيستاني: الوجه الحقيقي للقوة في العراق)، نشرته الصحيفة حول

نفس الموضوع ابرزت فيه قوة موقف السيد السيستاني وكيف انه نجح في ممارسة نفوذه سواء على الولايات المتحدة الامريكية ام على مجلس الحكم الذي شكلته لإدارة البلاد جاء فيه "كان سعيدا بإفساد توقيع مجلس الحكم الانتقالي العراقي على دستور مؤقت أمس لتمهيد الطريق أمام نقل السيادة إلى العراقيين وإجراء انتخابات كاملة. بناء على طلب من آية الله رفض خمسة أعضاء شيعة من المجلس إلحاق أسمائهم" (٤٧).

واضافة الصحيفة "لقد أصبح واضحاً كيف أن السيد السيستاني يمثل التحدي السياسي الأكثر أهمية الذي واجهه الائتلاف الذي تقوده الولايات المتحدة حتى الآن، فقد اضطرت واشنطن مرتين بالفعل لإعادة كتابة خارطة الطريق السياسية. بناء على طلب منه، فقد عدلت الولايات المتحدة عن خطتها لوضع دستور قبل الانتخابات والمجلس المنتخب الان سيكتب الدستور، كما طالب بنجاح أن يتم إحضار الأمم المتحدة لتقييم جدوى الانتخابات" (٤٨).

وفي متابعتها لتطور الاحداث في العراق وصولاً الى الانتخابات اشارت الصحيفة في اكثر من مرة أن تلك الانتخابات لم تكن برغبة امريكية بل ضغط مباشر من السيد السيستاني مارسه على قوات التحالف لإجبارها على تشكيل حكومة تكتسب شرعيتها من ابناء الشعب العراقي، ففي مقال نشرته الصحيفة للكاتب (Patrick Cockburn) حمل عنوان (The Grand Ayatollah Sistani may

call the tune, but the US will still have the power) (قد يصدر آية الله العظمى السيستاني النغمة، لكن الولايات المتحدة ستظل تملك القوة)، ونشر في ٢٧ كانون الثاني ٢٠٠٥، جاء فيه "أن الانتخابات في العراق يوم الأحد القادم هي نتيجة لضغوط من آية الله العظمى علي السيستاني، رجل الدين البالغ من العمر

٧١ عاما ، الذي يمارس مثل هذا التأثير الهائل على الطائفة الشيعية التي تشكل حوالي ٦٠ في المائة من سكان العراق» (٤٩) ، وأكدت الصحيفة أن المسؤولين الامريكيين عارضوا وجهة النظر تلك لكنهم مع لم يصرحوا علنا عن موقفهم خشية من موقف السيد السيستاني وما يمكن ان يترتب عليه في الشارع العراقي فكتبت تقول " ومع انه لم يذكر المسؤولين الأميركيون يوما أبداً أنهم كانوا يعارضون الانتخابات في الشهور التي أعقبت الإطاحة بصدام حسين" (٥٠).

وحللت الصحيفة في مقالها سبب عدم رغبة الامريكيين في اجراء الانتخابات قائلة "أن السبب الحقيقي لقلق الولايات المتحدة من الانتخابات هو خشيتها من أن الأحزاب الشيعية، وخاصة تلك الدينية جدا والقريبة من إيران، سوف تفوز بالأغلبية، وكان يأمل بدلا من ذلك أن يحكم العراق من خلال سيطرة مركزية مباشرة تكملها عودة المنفيين العراقيين المقبولين من واشنطن"، وعلقت الصحيفة على الرؤية والرغبة الامريكية ومدى الحرجة التي وضعها فيهم موقف السيد السيستاني من قضية الانتخابات وعدم قدرتهم على التأثير عليه بالمطلق بالقول "أدرك المحافظون الجدد المتعجرفون المتحصنون في المنطقة الخضراء في وسط بغداد أن رجل الدين، الذي نادرا ما غادر منزله في زقاق ضيق في النجف، احتجزهم في كف يده، بول بريمر، الوالي الأمريكي في العراق، يمكنه أن يسافر في جميع أنحاء البلاد لكنه لم ينجح أبدا في مقابلة آية الله السيستاني (٥١)، وإضافة الصحيفة سببا اخر من الاسباب التي دفعت الولايات المتحدة الامريكية الى الموافقة على الانتخابات وهو اندلاع تمرد سني فكتبت قائلة: بينما انتشر التمرد في جميع أنحاء المناطق المسلمة السنية في شمال ووسط العراق ، أدركت الولايات المتحدة أن عليها التوصل إلى اتفاق مع آية الله العظمى. تحت ضغط عسكري كبير من العرب السنة ، ٢٠ في

المائة من السكان ، لم تكن واشنطن قادرة على محاربة الشيعة أيضا. وافقت على الانتخابات^(٥٢)، وفي مقالها الذي نشرته في التاسع من شباط ٢٠٠٥ ، كتبت الصحيفة "في السياسة هو معتدل. وهو يعارض الاحتلال الأمريكي لكنه لم يصدر دعوة لمعارضته عبر السلاح. صمم على السماح للعراقيين بالتصويت ما أجبر الولايات المتحدة بعد المراوغة الطويلة الموافقة على الانتخابات، لقد تشكلت تحت رعايته التحالف العراقي الموحد، الذي كان يضم أحزابا متنوعة معظمها من الشيعة ومن المرجح أن يفوز على الأقل بنصف الأصوات^(٥٣)."

سادسا رؤية الصحيفة لموقف السيد السيستاني من الاقتتال الداخلي وحقوق الانسان والمرأة والاقليات.

ربما كان موقف السيد السيستاني من الاقتتال الداخلي أحد أكثر الأمور التي تابعتها الصحافة العالمية ومنها صحيفة الاندييندنت وخصصت له صفحات عديدة ونشرت العديد من المقالات التي حلت ذلك الموقف ودوافعه ومدى تطابقه مع حقوق الانسان والاعراف الدولية، وكتبت كثيرا على دعوات السيد السيستاني لتجنب الاستفزاز الذي يقود الى الاقتتال الداخلي لاسيما في اعقاب عمليات القتل والتفجير التي كان يتعرض لها الشيعة ومزاراتهم المقدسة، وكيف ان السيد السيستاني طلب من العراقيين عموما واتباعه خصوصا عدم الانجرار خلف تلك الافعال بردود افعال غير مسؤولة، ففي مقال لها نشرته في السادس من اذار عام ٢٠٠٤ ، أورد فيه بعض من مواقف السيد السيستاني في اعقاب عمليات القتل والتفجير التي تعرض لها الشيعة واورد أكثر من مثال على ذلك فكتبت "في هذا الأسبوع ، عندما قتل ١٨٠ حاجا بسبب القنابل التي استهدفت الطائفة الشيعية ، كان من الممكن أن نشهد بداية حرب أهلية بين المسلمين الشيعة والسنة ، لكن آية الله سارع إلى فرض

قيود صارمة على الحديث عن الانتقام^(٥٤)، ونشرت في مقال اخر في التاسع من شباط عام ٢٠٠٥ كيف ان السيد السيستاني وفي أعقاب جريمة تفجير المزارات الشيعية وهو امر جلل كاد ان يجر البلاد الى حرب اهلية لا تحمد عقابها "نصح بضبط النفس عندما طالب زعماء الشيعة بالانتقام بعد التفجيرات الدموية للمعابد والمزارات الشيعية^(٥٥).

لم يفت الصحيفة أن تشر الى كل مال له علاقة بالسيد السيستاني لاسيما تجاه القضايا العامة العصرية مثل الاقليات وحقوق المرأة والانسان وغيرها وكثيرا ما نقلت الصحيفة موقف السيد السيستاني من الاقليات وعدم التعرض لها وضرورة معاملتها بتسامح كبير فكتبت في إحدى المرات تقول "وأظهر التسامح مع الأديان الأخرى، وفي العام الماضي كان سريعا في إدانة الهجمات على الكنائس المسيحية في بغداد بأنها "جرائم بغیضة"^(٥٦).

ولم تغفل الصحيفة تتبع فتواه ومواقفه حتى من اكثر الاشياء حساسية في المجتمع العراقي يومذاك فنقلت موقفه من قضايا متقدمة من حقوق الانسان من وجهة نظر الغرب مثل المثلية الجنسية وان السيد السيستاني أصدر أكثر من فتوى تحظر على عدم التعامل مع تلك الامور من وجهة نظر فردية من جون ضابط حكومي ومجتمعي، فنقلت الصحيفة عن سعادة بعض نشطاء حقوق الانسان بتلك المواقف المعتدلة فكتب في مقال نشرته في السادس عشر من ايار ٢٠٠٦، قائلة "وقد ادعا نشطاء حقوق الإنسان انتصارا معنويا بعد أن قام آية الله العظمى علي السيستاني بنبذ فتوى تدعو إلى قتل المثليين جنسيا "بأقصى طريقة"، وجاء قرار أبرز زعماء الشيعة في العراق لإزالة الدعوة إلى قتل مثليي الجنس من موقعه على الإنترنت بعد سلسلة من الهجمات ضد المثليين جنسيا"^(٥٧)، وأنتهى المقال الى ما يمكن وصفه

"بأمنية ودعوة غريبة" فقد كتبت صاحبة المقال تقول "إن أنصار الحرية في العراق مثلي الآن يجدون أنفسهم في موقف غريب يأملون بشدة في بقاء آية الله على قيد الحياة. إذا مات قبل أن تفوز فلسفته السياسية بمعركة الأفكار في العراق ، فإن حجه يجب أن تعمر. لكنني أخشى من أنهم قد يغرقوا بسبب صوت إطلاق النار"(٥٨).

سابعاً: رؤية الصحيفة لقضية داعش وفتوى الجهاد وتشكيل الحشد الشعبي.

ومع تطور الاحداث في العراق وصولاً الى دخول داعش الاراضي العراقية استمرت الصحيفة في متابعة مواقف السيد السيستاني من مختلف التطورات غير ان متابعة موقفه من دخول داعش وفتواه التاريخية بالجهاد الكفائي شغلت مساحات واسعة من النقاش والجدل من صفحاتها حول طبيعة الفتوى واثارها الايجابية والسلبية وتأثيرها على الداخل والجوار العراقي، ففي مقال لها بعنوان (Isis: The real power in Iraq tells its neighbors to close borders to foreign fighters) (داعش: القوة الحقيقية في العراق تطلب من جيرانها إغلاق الحدود على المقاتلين الأجانب) نشر في ١٧ تموز ٢٠١٥، نقلت الصحيفة النداء الذي وجهه السيد السيستاني الى دول الجوار وخصوصاً تركيا وسوريا الى ضبط حدودهما وإغلاقهما امام تدفق المسلحين فكتبت تقول: "وقد وجه أقوى زعيم ديني شيعي في العراق نداء إلى المجتمع الدولي لإرسال المزيد من الأسلحة الحديثة لبغداد لمساعدته في محاربة داعش، كما يريد آية الله العظمى علي السيستاني ، الذي يعتقد على نطاق واسع أنه يتمتع بسلطة أكبر من جميع السياسيين العراقيين البارزين ، أن تقوم الدول المجاورة بإغلاق حدودها بحيث لا يستطيع المتطوعون الأجانب دخول العراق وسوريا للانضمام إلى الجماعة الإرهابية"(٥٩).

وفي مقابلة نادرة مع صحيفة غربية قال الشيخ عبد المهدي الكربلائي ، المتحدث باسم آية الله العظمى: "أهم نقطة هي الأسلحة- فهم لا يقدمون للعراق ما يكفي من الأسلحة" وعلقت الصحيفة قائلة على الرغم من أنه لم يذكر الدول التي تسمح للمقاتلين بدخول العراق وسوريا للانضمام إلى داعش أو جبهة النصرة، فرع القاعدة في سوريا، إلا أنه كان يقصد بالتأكيد تركيا- وهي نقطة القفز الأكثر شيوعاً للمتطوعين الأجانب" (٦٠).

وفي مقال آخر حول نفس الموضوع نشر تحت عنوان (فقط رجال الدين العراقيين يمكنهم الفوز ضد إيزيس) (Only Iraq's clerics can win against Isis)

للمحرر باتريك كوكبيرن (Patrick Cockburn) كتبت الصحيفة قائلة "من سخرية القدر ، هم الذين يلهمون الرجال للقتال والذين يستطيعون منع الانقسام الطائفي" وإضافة الصحيفة في مقالها "بعد تفكك الجيش في العام الماضي دعت فتوى أصدرها السيستاني في ١٣ حزيران إلى أن يحمل الرجال السلاح ضد داعش، وقد جلبت على الفور قوة تطوعية قوية ، متحمسة ، إن لم تكن مدربة تعدادها على الأقل ٥٠,٠٠٠ ، وقد تحولت القوة المحاربة الرئيسية لحكومة بغداد اليوم هي "وحدات الحشد الشعبي" التي قاتلت بنجاح ضد جيوب تسيطر عليها داعش حول بغداد" (٦١)، وخلصت الصحيفة إلى تقييم مفاده "أن آية الله ، الذي لا يتحدث علناً أبداً ، أقوى من رئيس الوزراء ، على الأقل لأنه أصدر فتوى في العام الماضي أدت إلى انضمام عشرات الآلاف من المتطوعين إلى الجماعات شبه العسكرية الشيعية للقتال ضد داعش ، وهي قوى أثبتت مؤخراً أنها أكثر عدداً بكثير. أكثر فعالية من الجيش العراقي" (٦٢).

وفي صفحاتها حاولت الصحيفة دائماً التركيز على حجم وقوة التأثير بين السيد السيستاني والحكومة لاسيما فيما تعلق بانحياز القوات العسكرية العراقية، فكتبت في إحدى مقالاتها تقييماً لقوة وتأثير رجال الدين الشيعة البارزين ومكانتهم بين مؤيديهم ومما جاء في المقال "لطالما كان آية الله العظمى السيستاني ورجال الدين الشيعة مؤثرين بشكل كبير بين الشيعة الذين يشكلون ثلثي سكان العراق والبالغ عددهم ٣٣ مليون نسمة، إن هزيمة الجيش العراقي في الصيف الماضي ، عندما فر من شمال وغرب العراق ، وهزيمة أخرى مهيمنة من قبل داعش في الرمادي في ١٧ أيار من هذا العام ، أدت إلى المزيد من الضعف في مصداقية الحكومة العراقية، وحقيقة أن فتوى آية الله التي أعلنها الشيخ الكربلائي في ١٣ حزيران ٢٠١٤ ، وادى إلى جمع ٥٠,٠٠٠ رجل، الأغلبية العظمى منهم الشيعة عرضوا الذهاب إلى الجبهة ، أظهرت شعبية وفعالية القيادة الدينية الشيعية مقارنة بعدم الكفاءة، وفساد نظرائهم المدنيين" (٦٣).

وفي الوقت الذي نقلت فيه الصحيفة مخاوف وادعاءات بعض ابناء المناطق التي تم تحريرها مؤخراً من داعش حول تعرضهم الى مضايقات من قبل بعض فصائل الحشد الشعبي كالمخاوف التي نشرتها في مقالها الذي نشرته في السابع عشر من شباط عام ٢٠١٥ ، وجاء فيها " كانت هناك شكاوى من سكان معظمهم من السنة في المدن العراقية استردوا من داعش أن القوات العراقية والقوات شبه العسكرية الشيعية قد قاموا بعمليات انتقامية ضد السكان المحليين ، مشتبهاً في أنهم تواطؤوا مع الإرهابيين" (٦٤)، نقلت الصحيفة في المقابل تأكيدات المرجعية المتكررة لعدم طائفية تلك القوات وكتبت في احد صفحاتها قائلة " كما شدد الشيخ الكربلائي عدة مرات على أن مقاتلي الحشد ، ما يسمى بوحدات التعبئة الشعبية

التي أنشأتها الفتوى، والتي هي اليوم القوة المحاربة الرئيسية للحكومة العراقية، ليست هيئة طائفية". ونقلت الصحيفة قول الشيخ الكربلائي كيف ان اهم دليل على عدم طائفية تلك القوات هو انها لم تشكل من الشيعة لوحدهم بل من كافة فئات الشعب وطوائفه ونقلت قوله: "ليس الشيعة وحدهم ، بل كل العراقيين الذين يقاتلون هذا الشر داعش" في هذه المعركة هناك شيعة وسنة ومسيحيون ويزيديون. أرى مقاتلين سنة في مكتبي، هذه ليست معركة طائفية" (٦٥)، واطافة الصحيفة نقلا عن الشيخ كربلائي قوله " إن مدنا مثل تكريت التي استعادها الحشد لا تزال مدنا سنية". وقال إن قوات الأمن العراقية لم تقم بأي مذابح، على عكس داعش. "على العكس ، فإنها توفر الطعام والمأوى للأشخاص الذين كانوا تحت حكومة داعش"، وأضاف أن آية الله أصدر مرسوماً يقضي بحماية أي شخص يحتاج إلى الحماية أو الطعام والمأوى، بما في ذلك الضحايا السنة تحديدًا" (٦٦).

وأوضح الشيخ "أنه نظر في التقارير التي تفيد بأن حاشد والجيش العراقي كانا يقومان بتطهير طائفي - بما في ذلك الروايات الممنوحة لهذه الصحيفة - كتشهير. وقال: "علينا أن نبحث عن الحقيقة للأحداث الحقيقية في الجبهة، وليس من الإعلام الغربي". قد يكون بعض هذا من التمني ، لكن صحيح أنه لا يوجد أي طرف آخر في العراق يقوم بعمليات قتل جماعية بنفس حجم داعش ، التي قتلت ١٧٠٠ ، مجند من القوات الجوية الشيعية في معسكر سبايكر العام الماضي ، إضافة إلى ٨٦٤ من أعضاء جماعة البويه السنية. قبيلة نمر" (٦٧).

وتستنتج الصحيفة بعد كل ذلك "إن هدف داعش في ارتكاب مثل تلك الفضائع، إلى جانب إراقة الدماء الهائلة، هو إثارة الانتقام الشيعي حتى لا يكون أمام السنة خيار سوى الاعتماد على الدولة الإسلامية. من المحتم أنه إذا ما تم هزيمة داعش في

العراق ، فسوف يتم ضربها من قبل قوة شيعية بشكل ساحق. فقط رجال الدين في النجف وكربلاء يملكون السلطة والرغبة في منع تحول المرحلة القادمة من الحرب إلى حمام دموي طائفي^(٦٨).

الاستنتاجات

مما لاشك فيه أن الصحف العالمية عموماً وصحيفة الانديبندت التي اخترناها نموذجاً لتوضيح فكرتنا لم تترك صغيرة ولا كبيرة من تطورات الواقع العراقي بعد عام ٢٠٠٣ ، الا واحصتها سواء ما تعلق منها بالوضع العام في البلاد او مواقف السيد السيستاني منها وبمنظرة سريعة لما اوردناها من امثلة ومقالات نشرتها الصحيفة على قلتها يمكن ان نثبت الاتي :

١- غطت الصحيفة عبر مقالاتها المتنوعة معظم أن لم نقل كل الاحداث والتطورات التي شهدها العراق بعد عام ٢٠٠٣ ولحد الان.

٢- تنوعت المواضيع التي تناولتها الصحيفة فكتبت في المجال السياسي والاجتماعي والاقتصادي والامني ومجالات الاقليات والمرأة وحقوق الانسان وغيرها.

٣- تنوعت مصادر معلوماتها التي استقتها عن العراق بين مصادر رسمية او شبه رسمية او حتى مدنية مستقلة.

٤- وبقدر تعلق الامر بالمرجع اية الله العظمى السيد السيستاني فقد واكبت وبدقة دوره في الحياة العامة العراقية وركزت بصورة خاصة على مواقفه من التطورات السياسية العامة التي شهدتها البلاد بعد عام ٢٠٠٣.

٥- لم تقتصر الصحيفة في مقالاتها على تناول مرحلة دون أخرى او جانب دون اخر من حياة السيد السيستاني فنشرت حول ولادته نشأته تعليمه اساتذته وشيوخه

تصديه للمرجعية وانتقاله للنجف وغيرها من الامور المتعلقة بالحالة الشخصية للسيد السيستاني.

٦- خصصت الصحيفة مقالات عديدة لتقييم مكانته العلمية وعرضت العديد من اراءه وفتاواه التي عدتها حالة تقديمية قياسا بالحركات والفعاليات الاسلامية الأخرى.

٧- رسم السيد السيستاني بأرائه السياسية والعلمية صورة جديدة عند الغرب تختلف تماما عن تلك التي يحملوها عن رجال الدين لاسيما الشيعة منذ اندلاع الثورة الاسلامية في ايران وتشكيل السيد الخميني قدس سره لحكومة ولاية الفقيه التي لم يجد فيها الغرب نموذجا "ديمقراطيا" بحسب تصوراتهم.

٨- كثيرا ما اجرت الصحيفة وكما غيرها مقارنات ومقاربات سياسية بين نظرية السيد السيستاني في الحكم ونظرية السيد الخميني قدس سره لاسيما ما تعلق منها بولاية الفقيه ودور رجال الدين في الحكم.

٩- لم نلاحظ في الصحيفة على الاقل في الاعداد التي اطلعنا عليها انها حملت على السيد السيستاني او انتقدت دوره او شككت فيه أو وجهت له مختلف الاتهامات كما فعلت الكثير من الصحف العربية.

١٠- ثمنت الصحيفة الكثير من الآراء والفتاوى التي اصدرها المرجع الاعلى لاسيما ما تعلق منها بحقوق الانسان والاقليات والمرأة، ووجدت في مشروعه السياسي قمة الحداثة والامل الوحيد في عراق جديد ديمقراطي.

١١- كانت الصحيفة ولحد ما حيادية فيما نقلت من اراء وتقييم عن السيد السيستاني.

١٢- وفي الختام فإن الصحيفة مثل مصدرا مهما لدراسة تاريخ العراق الحديث بعد ٢٠٠٣ بصورة عامة ودور السيد السيستاني بصورة خاصة .

الهوامش:

(١) سعت الولايات المتحدة الامريكية ومنذ الاجتياح العراقي للكويت بدايات عام ١٩٩١، الى البحث عن مختلف السبل والذرائع لاجتياح العراق، وهو ما وفره لها في نهاية المطاف السلوك العدواني والتسلطي الذي مارسه الحزب الحاكم في العراق. وفسح المجال لها واسعا للتدخل في الشؤون العراقية وصولا للاجتياح الذي جاء خلافا لميثاق الامم المتحدة، عزري رحيمته، الغزو الامريكي للعراق سنة ٢٠٠٣، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة محمد خضير -سكرة، ٢٠٠٤، ص ٣٣.

(٢) The Independent, Saturday ٦ March ٢٠٠٤ .

(٣) The Independent, Thursday ٢٧ January ٢٠٠٥.

(٤) The Independent, Saturday ٦ March ٢٠٠٤ .

(٥) The Independent, Saturday ٦ March ٢٠٠٤ .

(٦) The Independent, Saturday ٦ March ٢٠٠٤ .

(٧) The Independent, Wednesday ٩ February ٢٠٠٥.

(٨) The Independent, Wednesday ٩ February ٢٠٠٥.

(٩) The Independent, Saturday ٦ March ٢٠٠٤ .

(١٠) The Independent, Saturday ٦ March ٢٠٠٤ .

(١١) The Independent, Saturday ٦ March ٢٠٠٤ .

(١٢) The Independent, Saturday ٦ March ٢٠٠٤ .

(١٣) The Independent, Thursday ٢٧ January ٢٠٠٥.

(١٤) The Independent, Saturday ٦ March ٢٠٠٤ .

(١٥) The Independent, Saturday ١٨ July ٢٠١٥.

(١٦) The Independent, Thursday ٢٧ November ٢٠٠٣.

(١٧) كانت أولى خطوات تشكيل النظام الجديد في العراق تعيين حاكم عسكري عليه وتم للقيام بذلك الدور، Jay Montgomery Garner اختيار السفير الامريكي جي غارنر (Paul Bremer لكنه فشل في مهمته، فاختارت الولايات المتحدة ، السفير السابق بول بريمر) Coalition بدلا عنه ومنح صلاحيات واسعة لسلطة الاحتلال وما بات يعرف "سلطة الائتلاف) والتي قادت البلاد من ٢١ نيسان (CPA) التي تعرف اختصارا Provisional Authority

٢٠٠٤ الى ٢٨ حزيران ٢٠٠٤، فشكل بريمر مجلس ادارة محلي استند على تقديرات خاصة بسلطة الائتلاف حول النسب السكانية لمكونات الشعب العراقي، محمد أحمد، الغزو الامريكي البريطاني للعراق ٢٠٠٣، بحث في الاسباب والنتائج، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٠، العدد ٣-٤، ص ٢٣؛ عبد الكريم العلوجي، الصراع على العراق من الاحتلال البريطاني الى الاحتلال الامريكي، الدار الثقافية، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ١٠٣-١٠٤.

(١٨) The Independent, Thursday ٢٧ November ٢٠٠٣.

(١٩) The Independent, Saturday ٦ March ٢٠٠٤ .

(٢٠) The Independent, Thursday ٢٧ November ٢٠٠٣.

(٢١) The Independent, Saturday ٦ March ٢٠٠٤ .

(٢٢) The Independent, Saturday ٦ March ٢٠٠٤ .

(٢٣) The Independent, Saturday ٦ March ٢٠٠٤ .

(٢٤) The Independent, Saturday ٦ March ٢٠٠٤ .

(٢٥) The Independent, Saturday ٦ March ٢٠٠٤ .

(٢٦) The Independent, Wednesday ١٨ August ٢٠٠٤

(٢٧) The Independent, Wednesday ١٨ August ٢٠٠٤

(٢٨) The Independent, Wednesday ١٨ August ٢٠٠٤

(٢٩) The Independent, Wednesday ١٨ August ٢٠٠٤

(٣٠) The Independent, Wednesday ١٨ August ٢٠٠٤

(٣١) The Independent, Wednesday ١٨ August ٢٠٠٤

(٣٢) The Independent, Wednesday ١٨ August ٢٠٠٤

(٣٣) The Independent, Friday ٤ April ٢٠٠٣.

(٣٤) The Independent, Friday ٤ April ٢٠٠٣.

(٣٥) The Independent, Friday ٤ April ٢٠٠٣.

(٣٦) The Independent, Friday ٤ April ٢٠٠٣.

(٣٧) The Independent, Friday ٤ April ٢٠٠٣.

(٣٨) The Independent, Saturday ٦ March ٢٠٠٤ .

(٣٩) The Independent, Saturday ٦ March ٢٠٠٤ .

(٤٠) The Independent, Thursday ٢٧ January ٢٠٠٥ .

(٤١) The Independent, Wednesday ١٨ August ٢٠٠٤.

(٤٢) The Independent, Thursday ٢٦ August ٢٠٠٤.

(٤٣) هكذا ورد في المقال والصحيح أحمد الصافي

(٤٤) The Independent, Thursday ٢٦ August ٢٠٠٤.

(٤٥) تم تشكيل مجلس الحكم الانتقالي في ١٣/٧/٢٠٠٣، وانتهت مدة حكمه في الاول من حزيران ٢٠٠٤، وتكون من ٢٥ عضواً، وفي حزيران من نفس العام صدر قرار مجلس الامن الدولي المرقم ١٥١١، الذي اكد نقل السلطة من "سلطة الائتلاف المؤقتة"، التي يديرها الاحتلال الى سلطة عراقية مؤقتة مؤلفة من مجلس وطني وحكومة مؤقتين في موعد اقصاه الثلاثين من حزيران عام ٢٠٠٤، ومن بعد ذلك تم تشكيل الحكومة العراقية المؤقتة والتي تألفت من ٣١ وزيراً بما فيهم رئيس الجمهورية ونائباه، و٢٨ وزيراً، من بينهم رئيس الوزراء ونائبه والتي كان من مهامها العمل على ترتيب نقل السيادة العراقية للحكومة الانتقالية وكتابة الدستور واجراء الانتخابات النيابية، وفي ٢٨ حزيران ٢٠٠٤ اختير غازي عجيل الياور رئيس الجمهورية واياذ علاوي رئيس الوزراء وتسلموا السيادة من السفير بريمر وتم تشكيل الحكومة، عبد الكريم العلوji، الصراع على العراق من الاحتلال البريطاني الى الاحتلال الامريكى، الدار الثقافية، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ١٠٣-١٠٤-١٠٥-١٠٦.

(٤٦) The Independent, Thursday ٢٧ January ٢٠٠٥ .

(٤٧) The Independent, Saturday ٦ March ٢٠٠٤ .

(٤٨) The Independent, Saturday ٦ March ٢٠٠٤ .

(٤٩) The Independent, Thursday ٢٧ January ٢٠٠٥ .

(٥٠) The Independent, Thursday ٢٧ January ٢٠٠٥ .

(٥١) The Independent, Thursday ٢٧ January ٢٠٠٥ .

(٥٢) The Independent, Thursday ٢٧ January ٢٠٠٥ .

(٥٣) The Independent, Wednesday ٩ February ٢٠٠٥.

(٥٤) The Independent, Saturday ٦ March ٢٠٠٤ .

(٥٥) The Independent, Wednesday ٩ February ٢٠٠٥.

(٥٦) The Independent, Wednesday ٩ February ٢٠٠٥.

(٥٧) The Independent, Tuesday ١٦ May ٢٠٠٦.

(٥٨) The Independent, Wednesday ١٨ August ٢٠٠٤.

(٥٩) The Independent, Friday ١٧ July ٢٠١٥

(٦٠) The Independent, Friday ١٧ July ٢٠١٥

(٦١) The Independent, Saturday ١٨ July ٢٠١٥

(٦٢) The Independent, Friday ١٧ July ٢٠١٥

(٦٣) The Independent, Friday ١٧ July ٢٠١٥

(٦٤) The Independent, Friday ١٧ July ٢٠١٥

(٦٥) The Independent, Friday ١٧ July ٢٠١٥

(٦٦) The Independent, Friday ١٧ July ٢٠١٥

(٦٧) The Independent, Friday ١٧ July ٢٠١٥

(٦٨) The Independent, Saturday ١٨ July ٢٠١٥

Abstract:

The objective of our research is the Western press and the role of ayatan allah. Sistani in the internal Iraqi developments (٢٠٠٣-٢٠١٨) The Independent newspaper (British as example) to study the nature of the position of the world press on the developments in Iraq in general after ٢٠٠٣ and its vision of the role of the supreme authority ayatan allah. Sistani These events, and we seek to prove that the press is a very important source of sources documenting the history of modern Iraq at least details from a Western point of view, and that our knowledge of these details enable us in the end to develop a research strategy and media to deal with these newspapers and try to keep pace or respond But our choice of the newspaper did not come randomly, but because it is issued from a country with a long history of relations with Iraq is Britain and therefore any rule of the newspaper stems from the background of intellectual and historical solid and it is characterized by its culture and spread and spread and possess the technical and practical qualifications make it a successful example Study